شخصية الطفولة الأنثوية في الرواية الجزائرية

رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق أنموذجًا

أ. سلطانـــي فـــاروق

طالب دكتوراه، السنة الثانية، طور ثالث LMD
كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر
إشراف: أ.د. دهيمي حكيـم
رقم الهاتف: ٢١٣٦٧١٢٨٠٦٥٧+
البريد الإلكتروني: nor.sol7@hotmail.com

الاستلام	٢٠١٧/١٠/٢٧	المراجعة	٢٠١٧/١١/١٩	النشر	٢٠١٧/١٢/٣١

ملخص:

الطفولة من حيث المحتوى، مكوّن روائي، غنيّ بالدلالات، السيسيوثقافية، التي تتيح لنا معرفة مسار التطور لمجتمع من المجتمعات، وفيما يتعلّق بالواقع الجزائري، فإنّ الطفولة مؤشّر مهمّ لإعادة قراءة تطوّر الأحداث بوسيلة الكتابة السردية، لذلك نال هذا الموضوع حقه في كثير من النصوص السردية الجزائرية، فالروائية فضيلة الفاروق تعد من الأصوات التي لم تطمس شخصية الطفولة الأنثوية حقها في التعبير عن نفسها داخل العمل الروائي، رغم حساسية الموضوع، ما جعلنا نختار فكرة: شخصية الطفولة الأنثوية في الرواية الجزائرية رواية " تاء الخجل" لفضيلة الفاروق موضوعًا للدراسة.

الكلمات المفتاحية:

شخصية الطفولة الأنثوية، الهوية، الجسد، الاختلاف، الجرأة والتمرد، الآخر والسلطة البابوية البطريركية.

Le personnage de l'enfance féminine dans le roman algérien

Le roman "Taa' AlKhajal" Fadhila elfarouk est un modèle

Mr. Soltani Farouk

L'étudiant Doctorat, la deuxième année, 3ème cycle LMD

Faculté des Lettres et des Langues

Département des Lettres et Langue arabe

Université Mohamed Boudiaf de M'Sila, Algérie

Supervision: Dr. Hakim Dehimi

Téléphone: +213671280657

Email: nor.sol7@hotmail.com

Received	27/10/2017	Revised	19/11/2017	Published	31/12/2017

Résumé:

L'enfance est un composant romancier riche en signes socio- culturels. Il nous fait connaitre le processus d'évolution d'une société quelconque. C'est un indicateur très important pour connaitre les événements à travers l'écriture narrative. De ce fait، l'enfance est un thème d'une grande valeur au sein du roman algérien. A cet effet، la romancière algérienne Fadhila ALFAROUK، n'a pas omit tout en s'exprimant sur l'enfance de sexe féminin malgré le caractère délicat voire sensible du thème. C'est pour cette raison que nous avons choisis cette étude «personnage de l'enfance – féminin dans le roman algérien » et le roman "Taa' AlKhajal" de Fadhila ALFAROUK en tant que modèle.

Mots clés:

Le caractère de l'enfance féminine، Identité، La chair ،La différence، Audace et rébellion، L'autre autorité patriarcale.

مقدمة:

شكلت الرواية جنسا أدبيا إبداعيا أثار اهتمام الروائيين الجزائريين، حيث استطاعوا من خلالها صياغة رؤيتهم تجاه الحياة ومراحلها المتعددة والمتنوعة، بأدبية تعكس المتخيل الذي ينشده الروائي في الموضوعات التي يتطرق لها في الرواية، فشخصية الطفولة الأنثوية من الموضوعات المهمة التي اشتغلت عليها الرواية الجزائرية وتمثلت لها دورا بشخصية روائية في المتن المحكي، تحمل دلالة متباينة بتباين الرؤية الروائية ذاتها في المتخيل السردي من جهة ولقيمة الموضوع ذاته من جهة أخرى وفق سياق معين، بتصوير يعكس رؤية الاختلاف تجاه الأنثى تكون فيه الفوارق البيولوجية والنفسية انعكاسًا لأفكار ممتدة في عمق الموروث السيسيوثقافي، فشخصية الطفولة الأنثوية في الرواية الجزائرية هي دراسة لمرحلة مهمة وجزء لا يتجزأ من حياة الأنثى، لذلك فالكتابة الروائية النسوية أبدعت في تناولها شخصية الطفولة الأنثوية من منطلق المبادئ التي تؤسس لها {الهوية، التحرر، الذات، الآخر}، فنجد الروائية فضيلة الفاروق من الأقلام النسوية الجريئة التي تصور في روايتها "تاء الخجل" شخصية الطفولة الأنثوية وسط عالم ذكوري يرفض التنوع ويهوى الاختلاف إذ تواصل الطفولة البحث في ذاتها عن التحرر فتكافح وتتمرد على الأعراف من أجل اعتراف الآخر ووجودها، وهو واقع دفع بالأنثى إلى درجة التنصل من ذاتها، لذلك فالكتابة النسوية عن هذه الموضوعات تتعدى الجمالية، لتجعل من الكتابة هي المرأة ذاتها، متخذة من الكتابة رسالة إنسانية تناهض من خلالها النسوية للدفاع عن ذاتها وحقوقها في عالم يسيطر عليه النظام البابوي والفكر البطريركي، متخذين من رواية "تاء الخجل" نموذجا أدبيا يتناسب مع دراسة موضوع البحث، وتكييفه للإجابة على الإشكالية التالية:

١_ ما الأبعاد الدلالية في توظيف شخصية الطفولة الأنثوية في المخيال السردي الجزائري؟.

٢_ هل شخصية الطفولة الأنثوية في رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق وعاء دلالي يحمل معالم الأنثوية وقضاياها النسوية ذات الأبعاد الإنسانية، أم أنها مجرد عرض أدبي قائم على الجمالية الأدبية وفقط؟.

رصد مفاهيمي لشخصية الطفولة الأنثوية في الرواية الجزائرية:

إن البحث في مفهوم الطفولة من الناحية اللغوية تتحدد دلالته من خلال تواجد اللفظة في المعاجم العربية: فالطفولة على وزن فعولة، والتي تأخذ مدلول الحركة والتغير، ويبدأ تحديد مفهومها من التعريف بالطفل كونها تمثل مرحلة الأساس له، فقد جاء في لسان العرب في مادة {طفل}: "طفل طفالة ويقال جارية طفلة إذا كانت رخصة والطفل والطفلة الصغيران، والطفل الصغير من كل شيء يبين الطفل والطفولة لا فعل له"[١] فيتضح من خلال هذا أن الطفولة هي السياق الأولي لعمر الطفل، حيث يكون فيها الطفل عاجزا وضعيفا ومرتبطا في نشاطه بالغير، ويأخذ مصطلح الطفل دلالة المولود في معجم مختار الصحاح: "طفل المولود وولد كل وحشية أيضا طفلا وجمع أطفال"[٢].

إذن فمن التعريفين السابقين نتوصل إلى أن مصطلح طفل لا يأخذ بعين الاعتبار التمايز البيولوجي والنفسي بين جنسي الأنثى والذكر، بل هو مفهوم جامع يستوي فيه الجنسان أنثى وذكر.

إن الإنسان طوال مساره الحياتي في سيرورة مستمرة نحو تقدم العمر وجريانه إلى محطة معينة يكون فيها الإنسان خاضعا لزمن طبيعي غير متناهي الوجود يسير دوما نحو الأمام دون أن يرتد إلى الوراء "عبارة عن جريان منتظم"[٣]، إنه زمن أحادي الاتجاه، يبدأ عمر الإنسان فيه من ولادة تمر بمرحلة الطفولة حتى البلوغ إلى نهاية تكون خاتمة لمراحل استرسالية منتظمة تنتهي بالوفاة، تتحدد فيها الطفولة بوصفها مرحلة تبدأ من الولادة حتى البلوغ، وهي مرحلة يستوي فيها الجنسان أنثى وذكر"الطفل هو ولد حتى البلوغ، ويستوي فيه الذكر والأنثى والجمع أطفال"[٤].

الطفولة هي المرحلة المبكرة من حياة الإنسان، وهي المنطلق الأول له، واللبنة الأساسية في تكوين شخصية المستقبل وإعدادها، يكون فيها الطفل ضعيف يحتاج إلى العناية والاهتمام، من أجل النمو واكتمال النضج يكون

الطفل فيها محملا بالمواهب بصفة فطرية تحتاج للصقل من أجل الاكتساب "يولد الطفل وفي داخله قدرات ومواهب لا تلبث أن تكتشف، وتظهر كلما ترعرع وتجدد الربيع في حياته، وقد تحتاج الموهبة إلى من يكتشفها عند الطفل وينميها، كالأسرة والمدرسة والجهات الأخرى التي تهتم بتربية الجيل"(٥).

يحدد علماء النفس الطفولة بوصفها مرحلة أولية من عمر الإنسان، تمر بمراحل يمكن تصنيفها كالتالي:

١. مرحلة الطفولة المبكرة {٢ سنة/ ٦ سنوات}: وفيها يتعلم مهارات أساسية استنادا لما تقدمه له الحواس.

٢. مرحلة الطفولة المتأخرة {٦ سنوات/١٢ سنة}: وفيها يبدأ الطفل بإدراك الأحداث بمنطلق دلالي مجرد.

٣. مرحلة المراهقة المبكرة {١٢ سنة/ ١٥ سنة}: يكون الطفل فيها في حالة من عدم الاستقرار، من خلال تمازج النفسية بين ماهو كائن "طفل" مرتبط بالحاضر وراهنه، وبين مراهقة قائمة على تجاوز حدود الحاضر"فالمراهق فرد يفكر بعكس الطفل، خارج حدود الحاضر فيحظر النظريات لكافة الأشياء، واجدا لذاته في اعتبارات غير راهنة بشكل خاص، بالمقابل الطفل لا يفكر إلا أثناء الفعل الراهن ولا يحضر نظريات حتى لو سجل المراقب عودته الدورية إلى ردود فعل متشابهة"(٦).

وتحمل الطفولة خصوصية تميزها عن باقي المراحل العمرية للإنسان من حيث السمات التي تميزها:

١. خصائص عقلية: يتميز الطفل في هذه المرحلة بالواقعية، فيمزج الأحلام بالواقع، ويشكل حب الاستطلاع والتساؤل المستمر أهم خصائصه باحثا عن إشباع فضوله الذي لا يتوقف.

٢. خصائص انفعالية: يشكل الجانب الانفعالي أهم ما يمكن ملاحظته على الطفل من خلال تبيان حالة عدم الاستقرار وعدم الثبات في ذاته، تغلب عليه المزاجية لتتأرجح بين كثرة الانفعالات وسرعتها {الخوف/ سرعة الاستجابة للمثيرات}، وكلها دلائل على معالم الضعف والمحدودية، فيكون في بحث دائم على إشباع تلك الاضطرابات الانفعالية بمختلف الوسائل "تجد في سعيه نحو الاستقرار والاطمئنان، يحاول أن يلبس الظواهر أقنعة يؤولها كما يشاء ويفسرها كما يرغب، والطفل هو الكائن الوحيد الذي يقوم بهذه اللعبة لكي يبقي على مشاعره وأفعاله في حال استقرار وتوازن، وأقرب كائن يستعين به في عملية التنكر هذه هو الحيوانات لأنه أعظم الكائنات عفوية"(٧).

فالطفولة من خلال المفهوم الكرونولوجي تتعلق بمرحلة أولية من عمر الإنسان، فإنها من الجانب السيكولوجي محطة لاسترجاع واستحضار الذكريات، تتعلق بمرحلة الصغر على شكل صور متقطعة ومشوشة، تكون فيها معالم الطفولة غير كاملة في استحضار الذكريات الطفولية ويغيب الكثير من تفاصيلها تبعا لقيمة كل ذكرى في لا شعور الإنسان.

إن مصطلح "الأنثوية" يعرف حالة من عدم استقرار وعدم ثبات للمدلول، وهو يشهد جدالا فكريا وفلسفيا متشعبا يمتد إلى سياقات إبستيمولوجية لها أسسها في الساحة النقدية، فهو مصطلح يعرف جدلية كبيرة وتتعدد حوله الرؤى وفق مستويات سيسيوثقافية عديدة ومتنوعة، إلا أن المصطلح "الأنثوية" من الناحية اللغوية يعرف بعض الإجماع بما تعلق بالأنثى بوصفها نقيضًا للذكر، حيث جاء في لسان العرب في مادة {أنث}: "الأنثى خلاف الذكر، من كل شيء والجمع إناث والإناث جماعة الأنثى، ويجيء في الشعر الأناثي، والتأنيث خلاف التذكير وهي الأناثة، ويقال هذه المرأة أنثى إذا مدحت كاملة النساء"(٨).

حيث يتبين أن مصطلح "الأنثوية" هو ما تعلق بجنس "الأنثى" كاختلاف قائم على الجنس انطلاقا من رؤية بيولوجية ونفسية.

إن الجدال الحاصل في مصطلح "الأنثوية" يحمل رؤية ممتدة في عمق العرف الاجتماعي ذي خلفية سيسيوثقافية تتباين في الأخذ بين مصطلحين هما:

١. الأنثوية {féminine} ٢. النسائية {féminisme}

حيث يرى غير ناقد أن مصطلح "الأنثوية" أنسب للدلالة على صفات جنس الأنثى التي هي عليها "ذلك أن معنى الأنوثة يحمل مفهوم ما تقوم به الأنثى وما تتصف به وما تنضبط إليه، فلفظ الأنثى يستدعي على الفور وظيفتها الجنسية وذلك لفرط ما أستخدم اللفظ لوصف الضعف والرقة والاستسلام والسلبية"[٩].

في حين أن مصطلح "النسائية féministe"يلقى رفض لدى العديد من النقاد والباحثين لما تحمله دلالة المصطلح من عنصرية تتعلق بالنظرة الدونية والاحتقارية للمرأة "فكلمة نسائي تحمل دلالة مشحونة بالمفهوم الحريمي، الاحتقاري وهذا ما يدفع المبدعات إلى النفور على حساب هويتهن"[١٠].

فنجد الدكتورة "زهراء جلاصي" من الناقدات اللواتي يدافعن عن مصطلح "الأنثوية féminine" ويؤيدن استخدام مصطلح "الأنثوي"، ذلك أن مجال الاستخدام الدلالي عليه أوسع، على غرار مصطلح "النسوية féministe" الذي يعد مدلوله منغلقا ومحدودًا.

حيث تقدم الدكتورة "بايزيد فاطمة الزهراء" بحثا مميزا لتجاوز الجدال بين الأخذ بمصطلح الأنثوية أو النسوية، فكلمة "أنثى femelle" تشير إلى العناصر البيولوجية البحتة التي تميز النساء جنسا عن الرجال، أما كلمة "أنثوي féminine" تستعمل في الإشارة إلى ما تفرضه المبادئ الثقافية والاجتماعية البطريركية من أنماط الجنس والسلوك، أما "النسوية féministe" فتشير إلى قضية سياسية تتعلق بحرية المرأة الجديدة التي بزغت أواخر الستينات من القرن الماضي.

حيث يعرف المصطلح حالة من عدم الاستقرار والانتقال الدائم، فهي في اللغة الإنجليزية "féministe" يقابلها في اللغة العربية "النسوية" فنجد: "الأنثى femelle": وهي صفة واسم في الوقت نفسه دون الاختصاص بجهة معينة ويدخل فيها كل ما هو في جنس الأنثى، "الأنثوي féminine": وهي تشير إلى التمتع بصفات ينظر إليها على أنها مطابقة للنساء مثل اللطف، أما "النسوي féministe": وهي مذهب يدافع عن النساء والمساواة مع الرجل[١١].

فالطفولة الأنثوية هي مرحلة الأساس والمنطلق الأولي من عمر المرأة، فالبحث في صورة الطفولة الأنثوية ليس مجرد اشتغال على مرحلة عمرية مفرغة، بل هي منطلق حياتي مهم مفعم بالدلالة السيكولوجية، لا تتحدد بوصفها مرحلة فقط بل هي وجود المرأة ذاتها وهويتها الحقيقية، لا يمكن فصلها لأنها جزء لا يتجزأ من منظومة حياتية لها تجلياتها الإبستيمولوجية في عرف المجتمع، وهي تعكس دلالة تحمل كثيرًا من السوداوية والدونية من طرف الآخر، تتطور في مرحلة من مراحل القهر النفسي لدى الأنثى إلى درجة تنصل الأنثى من ذاتها الوجودية، كمبرر يداوي جراحها النفسية تجاه الاضطهاد الذي يواجهها من طرف الجنس الآخر (الذكر)، فهي نظرة لا تقوم على جانب بيولوجي ونفسي وفقط، بل تتعداه إلى العرف الاجتماعي الذي أسهم في تعميق الهوة بين الأنثى والذكر لتصل درجة نكران وجودها ويصور القرآن الكريم تلك النظرة القاتمة للذكر عن الأنثى في قوله تعالى: "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم"[١٢].

إن وجود الأنثى في العالم الذكوري محصور في زاوية ضيقة فبقدر ما هي مصدر للحياة إلا أنها تحمل إجحافا واحتقارية في حق الجنس الأنثوي، إنه وجود غريزي باحث باستمرار عن الإشباع، مما يجعل وجود الأنثى وجود جسد وهي لا تخرج عن هذه الدائرة، فالجسد في العمل الفني حسب "بانيك ريش" يتموضع عبر صفحات خاصة يحدده البناء العلائقي المرسوم عبر معجم يحتوي على التعامل بالألوان والروائح وهذه الشخصية تضع الشخصية الأنثوية في

مواجهة الأشياء، مواجهة العالم ومواجهة شريكها الرجل في علاقة حميمية تلخص رغبتها في الحياة، وقد تمزج روحها بجسدها حتى الاندماج لتكون شيئا مرغوبا من طرف الرجل "هكذا تتأجج الذات بين الإحساس المؤلم بتبعيتها لما هو سائد والإعتراف به بوصفه واقعًا وبين الإنصات إلى رغبات الجسد السالبة"(١٣).

إن الرواية الجزائرية جزء لا يتجزأ من الأدب العالمي، فأول رواية جزائرية مكتوبة باللغة العربية بوصفها نموذجًا استوفى معالم الرواية يعود إلى سنة ١٩٧١م، حيث يرى النقاد أن الرواية الجزائرية حديثة النشأة إلا أنها قطعت مرحلة مهمة في النضج، خاصة مع كوكبة من الروائيين في فترة الستينات والسبعينات والثمانينيات ونهاية التسعينات، تتراوح بين الكتابة الذكورية في صورة {محمد ديب، محمد رضا حوحو،طاهر وطار، وسيني الأعرج، مولود فرعون...وآخرون}، وبين الكتابة الأنثوية في صورة {زهور ونيسي، أسيا جبار، أحلام مستغانمي، فضيلة الفاروق...}، وكثيرات هن المبدعات ممن كتبن في الرواية الجزائرية إلى الآن، فاستطاعوا في أعمالهم الروائية أن يعكسوا صورة الجزائر في مظاهرها الحياتية السائدة اجتماعيا وثقافيا وسياسيا وفكريا، ذلك أن الرواية كما يقول أحمد الدغمومي: "قبل أن تختص الرواية بخاصيتها الأدبية، فهي قبل ذلك وبعد شكل من أشكال الثقافة"(١٤).

ولما كانت الرواية جزءا من الثقافة، فهي في تفاعل مستمر مع متغيرات العلوم خاصة ما تعلق بعلم النفس الذي يتناسب في نظرياته وتجليات الإبداع في الأدب خاصة الرواية، فكان للتغير الحاصل في علم نفس الأطفال بانقسام علم نفس الطفل عن علم النفس العام سنة ١٨٧٩م، الأثر البالغ في تغيير دفة الموضوعات في الرواية إلى الاشتغال على صورة الطفل، مما يولد قارئًا من فئة جديدة " ولم يكتب أدب الطفولة ملامحه قبل انفصال علم نفس الطفل من علم النفس العام، وإن كان الدارسون يحددون ولادة علم النفس العام في سنة ١٨٧٩م، فقد تم انفصال علم نفس الطفل عنه في ثلاثينيات القرن العشرين، وإن ولد تدريجيا ومهدت له دراسات كثيرة منذ القرن السابع عشر، مما أبرز الطفل على الساحة الثقافية فطالب الأدباء بزاد ثقافي يوازي ما يقدمونه للكبار"(١٥).

فالطفولة من الموضوعات التي لا تخلو الرواية من نسجها وإثبات حضورها في المتن المحكي، والتي لم يغفل الروائيون في الاشتغال عليها وإعطائها أبعادًا دلالية موحية ومتعددة تعكس صورة الطفولة في الواقع، ذلك أن الطفولة لا تتحدد بوصفها تجريدًا يرتبط بالواقع فقط، بل للطفولة وجودها داخل الرواية من خلال الشخصية التي يبلورها الراوي ويعطيها أدوارًا تتناسب وصورة الطفولة في الواقع، تكون الرواية فيها حوصلة انعكاسية عن الواقع "الرواية هي اشتغال في مجاهل الذات والتاريخ والمجتمع والوجود، عبر لغة واصفة دون البقاء في دائرة المركز الواحد، هي رؤية سردية ونسق أسلوبي أو قل هي محصلة خبرة السارد الخارج نصي"(١٦).

فصورة الطفولة الأنثوية في الرواية الجزائرية، هي بحث عن مدى حضور شخصية "الطفلة" داخل المتن المحكي، فإن كانت هذه الطفلة في الواقع توحي بحركية تجريدية، فإن هذه الحركية في الرواية تتحدد بلغة تعطيها دلالة تتلاءم والمدلول الذي يريده السارد بوصفها منعكسًا لشخصية الطفولة في الواقع "فالشخصية بالنسبة لديهم صورة مصغرة للعالم الواقعي"(١٧).

إن صورة الطفولة في الرواية الجزائرية حاضرة بمستوين، وفق سياقين معينين هما:

١. صورة الطفولة في المدينة {الحضر}	٢. صورة الطفولة في الريف {القرية}
١. سياق الحقبة الاستعمارية	٢. سياق الجزائر المستقلة خاصة في سنوات الجمر إبان التسعينات

حيث يحمل الروائي دلالة صورة الطفولة في الرواية من خلال تباين المستوى وفق سياق معين يظهر فوارق عدة تؤثر على دلالة شخصية الطفولة في المتن المحكي وهي دلالة لا تخرج عن التالي:

١. دلالة اجتماعية:	الفقر، اليتيم، الهجرة، التسول، تلميذ، ماكثة في البيت، مثقفة، شخص عادي، مراهق، أخ، أخت..
٢. دلالة نفسية:	القهر، البؤس، الشقاء، الحيرة، العنصرية، الحب، التمرد، المسؤولية، الدهشة، الغضب ...
٣. دلالة مثالية {قيم سامية}:	الهوية، حب الوطن، البطل، القدوة، الكفاح، الوفاء.

فنجد في المتخيل الروائي لمحمد ديب {١٩٢٠/٢٠٠٣} وهو أحد قامات الأدب الجزائري، يوظف في ثلاثيته الشهيرة "الدار الكبيرة" ١٩٥٢م، "الحريق" ١٩٥٤م، "النول" ١٩٥٧م، صورة الطفولة الجزائرية في فضاء المدينة، ويحملها دلالات اجتماعية ونفسية وفق مبدأ سامٍ، وإن كان المتخيل في صورة الطفولة عند محمد ديب قائم في سياق الحقبة الاستعمارية التي تتوافق مع سنوات الثورة التحريرية.

فأبدع محمد ديب في ثلاثيته رسم واقع الجزائر في زمن الحقبة الاستعمارية، فبرع في رسم لوحة معبرة عن معاناة وطنه الجزائر تحت سيطرة الاستعمار، من خلال تجسيدها في شخصية "عمر" الذي يشكل حلقة وصل بين الأجزاء الثلاثة: "عمر البطل الجائع اليتيم، يرى في أسرته معاناة الجزائر ويستلهم من أمه الصمود "لالة عيني" والتشبث بالحياة من خلال ماكنة الخياطة كوسيلة للتصدي للجوع"[١٨].

والصورة نفسها نجدها في المتخيل السردي عند الروائي "مولود فرعون" {١٩١٣/١٩٦٢} في روايته "ابن الفقير" ١٩٥٠م، وإن كان المستوى الذي يشتغل عليه هو صورة الطفولة في الريف، وهي لا تخرج عن الدلالات السابق ذكرها.

إن الطفولة الأنثوية بوصفها جزءًا من عالم الطفولة، تشغل قيمة مهمة في المتخيل السردي الجزائري، هذه القيمة التي تجعل لها خصوصية تنعكس حتى من الناحية الدلالية في توظيف شخصية الطفولة الأنثوية لتحمل كثيرا من التباين والاختلاف، ينطلق من الاختلاف ذاته القائم بين المرأة والرجل والذي تدخل فيه سياقات سيسيوثقافية عديدة "الاختلاف بين الرجل والمرأة قائم، ولا يقتصر على الفوارق البيولوجية وما يتولد عنها على المستوى النفسي، فهناك إرث تاريخي وثقافي وتجارب طويلة زادت حدة الاختلاف بل إن النظام السياسي والاجتماعي، والمؤسسات الدينية والاقتصادية يولد ذلك كله علاقة الشخصية بالفضاء والأشياء والعام والخاص وبين الذات والآخر"[١٩].

تأخذ شخصية الطفولة الأنثوية في المتن المحكي، أدوارًا متباينة في حالة عدم الاستقرار وعدم الثبات بين مستويين من الكتابة {كتابة ذكورية/كتابة أنثوية}، تتشكل الدلالة خلالها وفقًا لاستجابة الكاتب للسياقات الخارجية، فتكون شخصية الطفولة الأنثوية في المتن المحكي قائمة على دلالة {القهر والبؤس والسعي لتحرر الذات من احتقارية الآخر} من جهة، وقد تحمل دلالة التجاهل لذاتها ووجودها، تجسد رفض وجود الأنثى في عالم اجتماعي يحتكم لسلطة الذكر، تكون فيها الأنثى خاضعة لعرف اجتماعي مشوه ومجحف في حق الأنثى، فشخصية الطفولة الأنثوية في المتن المحكي الذي يصور فضاء الريف، تختلف عن الشخصية الأنثوية في المتن المحكي في فضاء المدينة، تبعا لرؤية يحددها السارد ذاته "جميعهم ضد القهر والاستلاب وباحثين عن الحرية، لكن هذا لا يعني إلغاء الاختلاف بين الكاتب والكاتبة، بل هنالك اختلاف في الاستجابة للمؤثرات الخارجية في تفسير العالم"[٢٠].

إن الكتابة الأنثوية في الرواية الجزائرية في اشتغالها على شخصية الطفولة الأنثوية في المتن المحكي، تعكس من خلالها تجارب شخصية وأحاسيس عاشتها، مما يجعل الكتابة عند المرأة هي حياة المرأة ذاتها، وبالتالي تمنح لأدبها نكهة خاصة "إن الأدب الذي تكتبه المرأة له نكهة أخرى، وهو في بعض الحالات يعكس تجارب شخصية وأحاسيس عاشتها دون الرجل، خصوصا حين كان جدار العزلة يرتفع بين الجنسين"(٢١).

إن شخصية الطفولة الأنثوية في الرواية الجزائرية، لا يمكن أن تكون بتلك الصورة المظلمة إلى حد بعيد فعلى الرغم من معاناتها وكفاحها للتحرر وإثبات الهوية والذات، وفق سياق معين، إلا إنها تأخذ في كثير من الكتابات صورة مشرقة تظهر في ثوب الطفلة المتعلمة والمثقفة التي تزاول الدراسة، مثل ما تصوره الروائية القديرة "زهور ونيسي" {١٩٣٦م/...} في رواية "دعاء الحمام" ٢٠٠٢م، فالشخصية الأنثوية وهي الغالبة في الرواية تحمل دلالات ثقافية تختلف عما كانت عليه الطفولة الأنثوية في باقي الروايات حتى وإن كانت الرواية تؤرخ لسياق الحقبة الاستعمارية(٢٢)، فنجد الروائية تصور شخصية الطفولة الأنثوية من خلال:

شخصية الطفولة الأنثوية في رواية "دعاء الحمام"	دلالتها في المتن المحكي
مريم	فتاة عادية
سميرة	طالبة

رغم ذلك فالطفولة الأنثوية من الناحية النفسية تظل تواجه الكثير من الإضطراب والكبت في ظل مجتمع ذكوري متسلط "إن المتخيل السردي الأنثوي يضع طفولة الأنثى ضمن منقسم متعدد داخل إيديولوجيا ذكورية مهيمنة يجعل حضورها غائبا وفضاءها مشحونا بالرقابة والكبت وليس هناك من فضاء ممكن بالنسبة للمرأة غير ما هو مراقب ومكبوت"(٢٣).

تجليات شخصية الطفولة الأنثوية في رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق:

إن شخصية الطفولة الأنثوية في المتن المحكي داخل الرواية الجزائرية ليس توظيفها مفرغا من الدلالة، بل هو يحمل مقصدية معينة قائمة على إحياء قيمة الأنثى في الحياة وإثبات وجودها الذي يبقى الآخر يرفضه، فتكشف الطفولة الأنثوية في الرواية أسرارها التي لم تستطع البوح بها في الواقع، لذلك فلا أحد يستطيع أن يعبر عن تلك التجربة سوى الأنثى ذاتها في كتاباتها الروائية، و"فضيلة الفاروق" روائية جزائرية أبدعت في روايتها "تاء الخجل" بالتعبير عن معاناة الأنثى عامة والطفولة الأنثوية خاصة، في ظل مجتمع ذكوري خاضع لعرف اجتماعي يحمل أفكارًا موروثة مشوهة عن الأنثى، إن الطفولة الأنثوية التي تشخص لها في روايتها تتعلق بمرحلة الطفولة المتأخرة التي تلج عالم المراهقة حيث تؤرخ لها بسن ١٤ سنة في الرواية، من خلال فضاء وجودي هو البيئة الريفية، وفق سياق تاريخي هو فترة التسعينات التي شهدت حقبة سنين الجمر بالجزائر، فتحمل "فضيلة الفاروق" بطلتها في الرواية "تاء الخجل" وهي نوع من أدب السيرة صورة الطفلة الجريئة والمتمردة، تواصل كفاحها ضد مجتمع يحمل نظرة احتقارية ودونية، ويمارس ضدها طقوسه المجحفة التي لم تتولد من التمايز البيولوجي والنفسي، بل هي نظرة متوارثة من عرف اجتماعي ممتد في الإرث البشري الطويل، هذه النظرة السوداوية شغلت الفضاء الوجودي للحياة كله، مما انعكس على شخصية البطلة "المراهقة" دخل المتن المحكي بكونها شخصية مدركة لعمق المأساة التي تمتد في عمق التاريخ وليست مرتبطة بالحاضر فقط، حيث تقول: "منذ العائلة، منذ المدرسة، منذ التقاليد، منذ الإرهاب، كل شيء عني كان تاء للخجل، كل شيء عنهن كان تاء الخجل، منذ أسمائنا التي تتعثر عند آخر حرف، منذ العبوس الذي يستقبلنا عند الولادة، منذ أقدم من هذا"(٢٤).

فما اختارته الروائية من ألفاظ تحمل في مضمونها دلالة ذات أبعاد تربوية ومتعلقة بالتنشئة الاجتماعية، تحمل من خلالها ما حمله العرف من أفكار مشوهة حول الأنثى، من منطلق ميكانزمات صناعة القرار في المجتمع والتي تمثل اللبنة الأساسية فيه (الأسرة وهي نواة المجتمع وجوهره في التنشئة الاجتماعية، المدرسة وهي مؤسسة تربوية أساسية في تكوين الفرد وإعداده لاكتساب سلوكات تتناسب ودوره في التكيف مع المجتمع، الأعراف وهي الموروث الاجتماعي المكتسب يقوم على استمرارية التواصل بين الأجيال وفق أفكار وقوانين أنتجها السلف وكيفها حسب السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه لتكون شبه قوانين تعتمد عليها في المستقبل لتكون تراثا مرجعيا يحييه الفرد ويتشبث به)، إن هذا التدرج التي تتناوله الروائية في طرح قضية وجود الأنثى وربطه بالمقومات الأساسية للمجتمع هو تبين مدى ما يحصل لها يكون من منطلق قائمين على ثلاث فرضيات: ١) إما أن المنطلق في التنشئة الاجتماعية قد شوه الوجود الأنثوي وحصرها في وجود دوني مما يحمل لها نظرة احتقارية لذاتها وهو ما لا يتناسب والتوازن الطبيعي للمجتمع ويخل فيه، ٢) والفرضية الثانية تجعل من المنطلق التي تنطلق منه مقومات المجتمع قائمة على أسس خاطئة وبالتالي يكون السلوك النابع منها مشوها وغير سوي تجاه الأنثى، وهو منطلق يتطلب إعادة نظر في المنطلقات الأساسية للمجتمع بما تحمله من قيم، مادامت قد أخلت في نظرتها للأنثى وبالتالي فإن هذه الأسس تحتاج إلى إعادة مراجعة لتقويمها وتقييمها لتصير متوازنة مع الوجود الإنساني السليم، ٣) حيث يتبين من خلال هذه الفرضية مدى قصور الفكر الإنساني في فهم المرتكزات التي ينطلق في بناء ميكانزماته الاجتماعية التي يتصور منها تنشئة مجتمع قويم وسليم، وبالتالي فإن هذا الإختلال في تقبل وجود الأنثى مرده أن الإنسان إما صار قاصرا في فهم المنطلقات التي يحسبها ذات قيم مطلقة، أو أن هذه المنطلقات هي بالأساس أكبر من فكر الإنسان ذاته مما يصعب عليه فهمها وتكييفها بما يتوافق مع وجوده، وهذا يثير تساؤلا في مدى موثوقية الإنسان في المنطلقات التي تمنحه قيمه الأساسية مادامت الحياة الاجتماعية ذاتها تعرف لا توان في تقبل الاختلاف الذاتي والماهوي.

تصور الروائية شخصية البطلة "المراهقة" وهي تعيش حالة من الحب رغم سوداوية الواقع، فسن ١٤ سنة يمنح للبطلة عنفوانا للأمن والاطمئنان، حيث تجد البطلة في الحب ملجأ ومتنفسا، تنسى به قسوة الحياة التي تواجهها من نظرة المجتمع للأنثى، مما يجعلها في حالة من عدم الاستقرار وفي تساؤلات مستمرة مع ذاتها دون أن تجد لها إجابة حيث تقول: "وأنا على شرفة الرابعة عشرة، حين دغدغت مشاعري بنقائك، عشت الحيرة لأول مرة، أبصف النساء أنا أم بصف الرجال؟، لماذا اختلفت عن كل الرجال؟، ألأنك إبن امرأة على رأي أهل الحي؟، أم لأنك اختلفت من أجل؟، عشت أجمل قصة حب في ذلك الزمن الباكر، ومعك في الغالب كنت أنسى قساوة الرجال"[٢٥].

شخصية البطلة في المتن المحكي صاحبة ذاكرة قوية وكثيرة استحضار الذكريات من تلافيف الماضي وشديدة التعلق بالتاريخ القديم، فهو زمن يحمل أجمل لحظات الحياة في ذاتها، فالماضي لا يبدو بالنسبة لها زمن عابر للأحداث، بل هو متنفس تجد فيه البطلة فرصة لصياغة شخصيتها التي اكتسبتها من تمازج تأثرها بشخصيات عدة من الأسرة، حيث تقول: "شيء من لالة عيشة، أشياء كثيرة من زهية والدتي وأشياء من أخريات...أحب ذلك الماضي، رغم ألوانه الداكنة"[٢٦].

تمنح الروائية شخصية البطلة "المراهقة" دور شخصية المراهقة المتمردة على أعراف العائلة حيث يتبلور هذا التوجه في التمرد من ظروف خارجة عن ذاتها، فيجعل رد فعلها هذا يتسم بالحتمية، بسبب ما يحملها المجتمع من نظرة احتقارية لجنس الأنثى ويجعل دورها يقتصر على فعل أشياء محدودة ومؤقتة مما أجبر البطلة في لحظة نفسية متطورة عن هذا الوضع إلى درجة التجرد من ذاتها الأنثوية، هذا التمرد ليس مجرد قرار نفسي متعلق بذات البطلة، بل هو سلوك ظاهر مجرد، ترجمه حكم الأسرة على البطلة بأنها مختلفة عن باقي البنات في الأسرة والقرية، حيث تقول: "كنت مشروع أنثى، ولم أصبح تماما بسبب الظروف، كنت مشروع كاتبة ولم أصبح كذلك إلا حين خسرت

الإنسانة إلى الأبد، كنت مشروع حياة ولم أحقق من ذلك سوى عشره ... العمة كلثوم أصرت: إنها تختلف عن بناتنا"[٢٧].

إن شخصية الطفولة التي تشخص لها الروائية في "رواية تاء الخجل" هي طفلة تعيش مرحلة انتقالية بين {مرحلة الطفولة المتأخرة وبداية مرحلة المراهقة}، والتي تكون فيها الأنثى في حالة من عدم الاستقرار وعدم الثبات، وفي حالة بحث دائم عن نموذج تقتدي به في حياتها، إنها أنثى ضعيفة في ظل مجتمع ذكوري متسلط، فعلى الرغم من كونها تعيش قصة حب جعلتها تنسى مأساتها النفسية نسبيا، إلا أنها في حالة من التأمل باحثة عن من يأخذ بيدها فيمنحها الثقة والقوة في ذاتها ووجودها، ذلك أن القدوة شيء مهم في مثل هذه المرحلة من العمر أين تحتاج ليكون سلوكها ناضجا وحياتها مستقرة فتجد البطلة في شخصية العمة {لالة عيشة} النموذج الذي تبحث عنه، خاصة أنها استطاعت أن توجد لذاتها مكانة في ظل وسط ذكوري كسبت احترامه، حيث تقول: "أما بالنسبة لي ف"لالة عيشة" كانت امرأة قوية، إذ كانت تجالس الرجال وتشاركهم أحاديثهم السياسية وقد أخبرتني ذات يوم أنها كانت أول امرأة تنخرط في الحزب أيام الثورة، وأنها دفعت أربعة دورو، كقيمة للاشتراك"[٢٨].

تكتسب البطلة شخصية انفعالية داخل أسوار الأسرة، هذه الانفعالية التي تتولد من خلال تأثرها بحالة عدم الاستقرار في محيط الأسرة، من حيث هي أسرة كبيرة ومتعددة في تركيبها، فنظام الأسرة قائم على تمايز طبقي يفصل بين الرجال والإناث، مما يجعل من نسوة البيت أفرادًا من درجة ثانية تكون فيها الدرجة الأولى للرجال، فهي أسرة تشهدها في منظومتها الاختلاف والتمايز على أسس بيولوجية وأعراف اجتماعية مشوهة، فحالة البطلة المنفعلة هي منعكس لهذا النظام، فتكون البطلة رافضة ومعارضة ومتمردة على هذا الوضع الذي يتجلى بشكل أكبر في فترة غداء الجمعة، حيث تقول: "لكن بكاء أمي الصامت وخلافات صبايا العائلة تجعلني متوترة أحيانا، أما ما يجعلني فعلا أفقد أعصابي، فهو فترة الغداء يوم الجمعة إذ علينا نحن النساء أن ننتظر عودة الرجال من المسجد وبعد أن ينتهوا من تناول الغذاء يأتي دورنا، نحن النساء كنا جميعا نجتمع عند العمة تونس وكنت أكره ذلك التقليد الذي يجعل منا قطيعا من الدرجة الثانية"[٢٩].

إن هذا التعدد والتنوع في تركيبة الأسرة والذي تطرقت له الأسرة وفق سياق حقبة التسعينات أين يتبين لنا أن الأسرة الجزائرية وبصفة خاصة في فضاء الريف تتشكل من بنية قائمة على الكم العددي في أفراد الأسرة والذي هو نتيجة لتعايش المتنوع في الأسرة الواحدة بين أفراد العائلة الكبيرة التي تتعدى في نسيجها مركزية الأب والأم إلى الجد والجدة والعم والعمة، ولهذا التعدد والتنوع الأثر البالغ في تنشئة الفرد خاصة من حيث الفضاء الخارج أسري أين يولد الفرد على حتمية الاستقامة الخلقية بفضل آلية الرقابة أين يوفر هذا التعدد في الأسرة خلق رقابة على الفرد خاصة الطفولة فيجد الطفل ذاته مجبرًا على اتباع سلوكات مفروضة دون أن تكون له حرية في تجاهلها لأنه ساعتها يكون محوطا بالرقابة، وبالتالي أمام هذه الرقابة والحتمية الإكراهية للفرد فإن البعد النفسي له يشكل له بعض الكبت الذي يسعى لخلق فضاء سلوك لإشباعه كمنفذ عن تلك الرقابة التي حدت ذاته، وهو ما تصوره الروائية من خلال بناء الأسرة التي تعيش فيها أين تصور كيف صارت النسوة تعد من الطبقة الثانية داخل الأسرة في سياق يوم الجمعة، وهي سياق يحمل تناقضا سلوكيا، فمن المفروض أن لدلالة هذا اليوم قيمة اجتماعية تتبلور في جانب اللحمة الأسرية الحميمية كيوم يجتمع فيه كل أفراد الأسرة لكنه سرعان ما يتحول إلى يوم تنقسم فيه الأسرة إلى فئتين، وهو منعكس تولد من أعراف مشوهة احتضنها البناء الاجتماعي ومهد لاستمراريتها على الرغم من كونها تحمل إخلالا بالتوازن الاجتماعي، وبالتالي كان تقبلا لعرف دونما البحث والتفحص في قيمته الاجتماعية وربطه بمستقبل الأسرة وسلوك أفرادها في تقبل تنوع بنائها (أنثى/ذكر).

إن شخصية البطلة في المتن المحكي تشهد ثباتا في مبادئها التي تقوم عليها، فهي إن كانت شخصية مختلفة عن باقي البنات في الأسرة، إلا أنها ثابتة في موقفها في تمردها على أعراف القرية في الأسرة أو في المجتمع، ويتبلور هذا في امتعاضها ونكرانها لعرف الزواج، فعلى الرغم من كونه سياقا اجتماعيا تسوده معالم الفرح والسرور، إلا أنها تجد فيه تجليات للحزن والمأساة يختزل فيه وجود الأنثى وتذوب ذاتها الأنثوية لغريزة الرجال، حيث تقول: "ما أبشع أن تكون الواحدة منا عروسا، اقتربت مني سهام ابنة عمي ووشوشت لي: هل رأيت العروس كانت مصفحة، لم أجبها، كنت قد كرهت نفسي وكرهت منظر النساء فعدت إلى بيتنا وحاولت أن أنسى ذلك العرس، كانت تلك الطقوس غريبة على عائلتنا"[٣٠].

إن الروائية فضيلة الفاروق في روايتها "تاء الخجل" تكشف عن تلك النظرة الذكورية التي تحصر وجود الأنثى عامة والطفولة الأنثوية خاصة في زاوية الجسد، فهي نظرة مجحفة لجنس الأنثى، فهي تكشف من خلال روايتها في تصوير شخصية الطفولة الأنثوية عن عمق المعاناة التي عاشتها في مرحلة العشرية السوداء، فتجد في الكاتبة وسيلة للبحث عن ذاتها وغاية للتحرر من تلك النظرة القاتمة للآخر ضد الأنثى، وفي الرواية تشخص الروائية كيف أن البطلة ترفض وتتصدى لتلك النظرة الذكورية المحملة بمعالم الاحتقار والغريزة وتواجهها بكل جرأة وثبات، دون أن تؤثر عليها الإغراءات والتحرشات، فشخصية البطلة في المتن المحكي شابة نزيهة شريفة ووفية لحبها، حيث تقول: "إياك أن تلمسني ثانية، عوى كلب بالجوار، ابتسم ياسين بخبث: أيتها العاهرة، نصر الدين أحق بك مني؟ صفعته وهربت ... في اليوم التالي التقيته على السلالم أوقفني بهدوء وقال: كوني مطيعة، وإلا فضحتك، كان لي رأس يابس نظرت إليه وقلت دز معاهم"[٣١].

إن فضيلة الفاروق في روايتها "تاء الخجل" تحمل شخصية البطلة دلالات نفسية ذاتية تكتسيها البطلة ذاتها من خلال معالم الوفاء والحب والشخصية القوية، فهي بطلة دائمة التأمل والاطلاع، تتفاعل مع متغيرات المحيط الذي يحيط بها بمؤثرات مختلفة يكون وجودها فيه غير ثابت على حال وغير مستقر فهي تسعى باستمرار لإثبات ذاتها بوصفها شخصية أنثوية مثقفة واعية تسعى لمعايشتها وجودها بصورة متمردة ومعارضة رافضة لما لا يتوافق مع معالمها الأنثوية التي تتولد عن ذاتها كأنثى تعيش متغيرات صاغت تأثيرها على ذاتها، فتجد في عالم الدراسة ملجأ تتخلص فيه من معاناتها وفرصة لتعانق أحلامها الطفولية في أن تصير كاتبة، ففضيلة الفاروق من هذا الجانب أبدعت في رسم شخصية البطلة بخروجها عن المتخيل الكلاسيكي الذي يختزل وجود الأنثى الريفية بين أسوار البيت ولا يخرج عن متصور الغريزي حيث تقول: "كانت في يدي قوة واحدة لا يمكن أن تقهر حب والدي للعلم"[٣٢].

إن التيمة التي تعالجها الروائية فضيلة الفاروق من خلال روايتها "تاء الخجل" هي قضية اغتصاب الأنثى في حقبة التسعينات من جرف الجماعات المسلحة الخارجة عن القانون، وهي من خلال ذلك تبين مدى معاناة الأنثى من مختلف الأبعاد النفسية والاجتماعية والوجودية ليجعل منها العرف السائد مدينة في كل شيء، دون أن يكون لها الحق في الدفاع عن ذاتها، فالوضع لا يختلف عن سلوك الأساطير القديمة وقصص القرابين، فالأنثى في سياق التسعينات كانت قربانًا لذلك الوضع المتأزم، كانت الأنثى تولد لتموت "المرتبطة في الموروث الإنساني بالتضحية القربانية الأنثوية التي عرفتها الديانات القديمة"[٣٣]، وهو وضع لم يرحم حتى الطفولة الأنثوية، فتصور الروائية الممارسات غير الإنسانية ضد الأنثى وكيف أن الوضع السيئ الذي عانت منه الأنثى امتد حتى للطفولة الأنثوية فتبلور في سلوك غير أخلاقي تمثل في الانتحار، أين أصبح الانتحار منفذا للخلاص من وحشية وقساوة تلك الحقبة التي تعايشها الأنثى، فتصور الروائية حكاية الطفلة (ريمة النجار) وهي في الثامنة من عمرها حينما أقدمت على الانتحار برمي نفسها من على جسر (سيدي مسيد) والتي تبين فيما بعد أن والد الطفلة هو من أقدم على رميها من على أعلى الجسر ظنا منه أنه تخلص من العار لأنها اغتصبت، تقول: "لكن الأسوأ في تلك الأيام كانت حكاية (ريمة نجار) طفلة

في الثامنة رمت بنفسها من على أعلى (جسر سيدي مسيد)، لم أصدق أن الأطفال ينتحرون، لهذا حققت في الموضوع وبعد أن رمتني تفاصيله في متاهة اكتشفت أن الوالد هو الذي رمى بابنته من على الجسر، نسي الناس الاغتصابات الجماعية وصاروا يفكرون في ريمة، قال إنه خلصها من العار لأنها اغتُصبت"[٣٤].

والروائية من خلال الطرح في تعريجه لقضية الاغتصاب الذي طال الذات الأنثوية بدون وجه حق وضاربا أسوار القيم والأخلاق كلها التي من المفروض على المجتمع أن يتحلى بها، ومتجاوزا القوانين كلها، فهي تبين من جهة التناقض في بناء المجتمع من خلال ما ينتهجه من قيم وما يمارسه من سلوك، وهي كذلك كغاية إنسانية تهدف من خلالها إلى التعاطف مع الوجود الأنثوي والدفاع عنها كقضية عادلة تستدعي الاهتمام وتتطلب تفعيلا أفضل للتعايش معها من خلال مختلف الآليات التي من شأنها ضمان كرامة الأنثى.

خاتمـة:

- إن البحث في شخصية الطفولة الأنثوية في الرواية الجزائرية، هو قراءة لما تحمله الرواية من دلالة في توظيف شخصية الطفولة الأنثوية في المتن المحكي، والذي تدخل فيه سياقات سيسيوثقافية مختلفة لتصوغ شخصية الطفولة الأنثوية في الرواية كمنعكس حقيقي لما هو موجود في الواقع.
- إن مصطلح الأنثوية يعرف جدالا واسعا وحالة من عدم الاستقرار في الأخذ به، إلا أن أغلب النقاد يفضلون مصطلح الأنثوية على مصطلح النسائية، لكون مصطلح الأنثوية يحمل مجمل الصفات التي تتوافق وجنس الأنثى مثل اللطف والحب، بخلاف مصطلح النسائية الذي يعني الدفاع عن حقوق النساء.
- إن توظيف شخصية الطفولة الأنثوية في الرواية الجزائرية، يكشف عن نظرة الاختلاف والتمايز التي يحملها المجتمع عن الشخصية الأنثوية في الحياة، حيث تتأرجح هذه النظرة بين الأنثى والذكر وفق فوارق بيولوجية ونفسية، ويتعدى هذا التوظيف إلى درجة تدخل العرف الاجتماعي في بلورة فكرة الاختلاف بين الجنسين وفق أفكار مشوهة يحمل المجتمع ضد الأنثى والتي يحصرها في زاوية الجسد، مما يجعل وجود الأنثى في الواقع وجودا محصورا ومحدودا، لا يخرج عن الطبيعة الأولية للإنسان والتي تقوم على الغريزة.
- إن توظيف شخصية الطفولة الأنثوية في الرواية الجزائرية، هو تجسيد لشخصية الطفولة الأنثوية في المتن المحكي كمنعكس للواقع، حيث لا يخرج هذا التوظيف عن مستويين اثنين هما: ١) الطفولة الأنثوية في المدينة، ٢) الطفولة الأنثوية في الريف، وفق سياقين هما: ١) سياق الحقبة الاستعمارية، ٢) سياق الجزائر المستقلة خاصة فترة التسعينات، وهو توظيف يحمل دلالات متعددة ومتباينة، تباين الكتابة نفسها بين الكتابة الذكورية والكتابة الأنثوية.
- إن الروائية فضيلة الفاروق في روايتها "تاء الخجل" أبدعت في تصوير شخصية الطفولة الأنثوية حيث عكست من خلالها معاناة الأنثى ومأساتها في المجتمع الذكوري، وهو تشخيص جعل من الكتابة فضاء تدافع فيه الأنثى وتواصل كفاحها للتحرر من النظرة الذكورية الاحتقارية، فكل ما شخصته الروائية في روايتها من شخصية البطلة هو عبارة عن أحاسيس ومشاعر عايشتها في الواقع، فلا أحد يستطيع أن يعبر عن ألم الطفولة الأنثوية سوى الأنثى ذاتها.
- إن بناء الروائية فضيلة الفاروق لروايتها" تاء الخجل" على أسلوب السيرة الذاتية وفق آلية استحضار الذكريات في بناء المتن المحكي لا يعني هذا وقوف الباحث بوصف الرواية تندرج ضمن أدب السيرة، لأن الباحث عليه تجاوز الدلالة الجاهزة في دراسته للرواية لأن أسلوب الذاتية في الرواية هو خلق مسافة أقرب للتواصل بين الروائية والقارئ وبالتالي فإن الروائية فضيلة الفاروق من خلال روايتها تريد إشراك القارئ في نسوجها المحكية وجعله عنصرا يتمثل ويعايش الروائية روايتها في حالة من التأثير والتأثر، ذلك أن الرواية فن نثري الهدف منه التأثير

والتأثر في القارئ، وبالتالي فإن القارئ من خلال أسلوب الذاتية في الحكي داخل المتن المحكي فأنه يرى ذاته مشاركة ومتفاعلة مع الرواية في كل أطوارها، خلافا لحكي الموضوع أين يجد القارئ ذاته تبني تصورات وتحاول خلق أبعاد خيالية يريد منها التوصل لمقاربة الرواية كبعد توصل وهذا راجع بالأساس إلى مسافة التواصل بين الموضوعية الطرح الروائي وشغف أفق التوقع للقارئ، وبالتالي فإن أسلوب الذاتية في الطرح الروائي أقرب إلى مشاركة القارئ كمسافة تواصل ينتطر منها التفاعل وفق مبدأ التأثير والتأثر، لأن الذاتية أسرع في التأثير على القارئ.

- إن توظيف شخصية الطفولة الأنثوية في الرواية الجزائرية عامة وفي رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق قائمة على البعد الإنساني الذي تعمل فيه الرواية على معالجة قضايا حياتية تتعلق بالطفولة عامة والأنثوية خاصة، ذلك أن الروائية فضيلة الفاروق لم تغفل إدراج هذا البعد الإنساني في روايتها من خلال تصويرها معاناة الطفولة الأنثوية في سياق التسعينات، والتي تهدف من خلالها للتأثير على القارئ لتقبل الذات الأنثوية كوجود، والتعايش معها بمنطقية أن الوجود ذاته قائم على التنوع والاختلاف، واحترام ذاتها بوصفها إنسانة لها حريتها وكرامتها.
- إن دلالة توظيف شخصية الطفولة الأنثوية في رواية "تاء الخجل"، بتلك الشخصية المتمردة والجريئة والثابتة في مواقفها، هو بحث لبناء نموذج أنثوي مستقبلي يحمل معالم التحرر من أعراف مشوهة ويمتلئ بمبادئ قيمية تمكنها من التعايش بحرية واستقلالية تحترم التنوع والاختلاف وهو ما يسمو له السرد النسوي.
- إن ما تناولته الروائية فضيلة الفاروق في روايتها "تاء الخجل" من قضايا إنسانية تمس واقع الطفولة الأنثوية تجاوزت في السلوك المحظور التعدي على كرامة الأنثى وحريتها وطرحتها بأسلوب أدبي صريح وجريء كاسرة طابوا ظل إلى زمن من الموضوعات الممنوعة الطرح، وبالتالي فإن هذا الطرح الأدبي في قالب الرواية قد أعطى لمفهوم الرواية بعدًا يتجاوز جمالية الأدب وشعرية السرد، ليصبح مفهوم الرواية هو إعطاء تفسيرات وجودية حول مصير الإنسان.
- إن كتابة فضيلة الفاروق من خلال روايتها "تاء الخجل" وتعبيرها عن معاناة الطفولة الأنثوية كشخصية مهمشة تعاني الحرمان والألم مصدره مجتمع أبوي يحمل أفكارا مشوهة عن المرأة، فهي بكتابتها السردية تفضحه وتكشف سلوكاته المشينة والمتستر عنها وتتمرد على قوانينه التسلطية بكل جرأة تحمل في ذاتها التحدي النابع من عمق الوعي النسوي الذي يقودها للدفاع عن ذاتها كامرأة والمطالبة بحقها في المساواة والاختلاف والتي لطالما حاول النظام البطريركي طمسها وتكبيل حريتها بجبروته.
- إن التوجه النسوي في رواية "تاء الخجل" يحمل دلالة غير متوازنة بين ما تحاول الكاتبة إدانته من سلطة المجتمع الذكوري عامة متشبع بأفكار بطريركية بابوية تهمش المرأة وتحصر وجودها في طابع الغريزة حيث هذه الأفكار قتلت الروح الملائكية للطفولة الأنثوية وغمستها في الخضوع للتقاليد والأعراف الجبرية التي ضبطت طموحهن وجعلته لا يتجازو أسوار الزواج كنتاج مفروض من العرف السائد، في حين نجد بعدا آخر يناقض طرح التوجه النسوي وهو الانتقال من طابع الإدانة للمجتمع الذكوري إلى طابع التسامح عن شخصية حبيبها التي هي تتجسد في كونها شخصية غائبة كشخص حاضرة كطيف من الذكريات وأمام هذه الشخصية تسقط محكمة الإدانة لتذوب في ملامح الحب والشوق الذي يجعلها تنسى قليلا من ألمها.

الهوامش:

(١) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور، ٢٠٠٣، لسان العرب، بيروت، لبنان، دار صار، ص ١٦٧.

(٢) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ١٩٨٦، مختار الصحاح، بيروت،مكتبة لبنان، مادة "طفل".

(٣) عبد اللطيف الصديقي، ١٩٩٥، الزمان وأبعاده وبنيته، ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص٧٥.

(٤) إبراهيم مصطفى وأخرون، ٢٠٠٤، معجم الوسيط، ط٤، مصر، مكتبة الشروق الطفولية، مجمع اللغة العربية، ص٥٦٠.

(٥) أحمد حسن الخميسي، ٢٠١٤، تربية الأطفال في وسائل الإعلام، ط١، باب الزوار، الجزائر، دار النهار للنشر والتوزيع، ص١٢٧.

(٦) جان بياجيه، ١٩٨٨، سيكولوجية الذكاء، ط١، بيروت، ترجمة بولند عنمانوئيل، منشورات عويدات، ص ١٤٩.

(٧) عبد القادر عميش، ٢٠٠٣، قصة الطفل في الجزائر، ط١، وهران، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص ٦٩.

(٨) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور، لسان العرب، ص ١٦٩.

(٩) مفيد نجم الدين، الأدب النسوي إشكالية المصطلح، مجلة علامات، العدد ٥٧٢، ١٥ رجب ١٤٢٦هـ/ سبتمبر ٢٠٠٥، ص١٦٧.

(١٠) زهرة جلاصي، ٢٠٠٠، النص المؤنث، تونس، دار سراس للنشر، ص ١٠.

(١١) فاطمة الزهراء بايزيد، الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠١١-٢٠١٢، ص ٢١.

(١٢) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ٥٨.

(١٣) محمد نور الدين أفاية، ١٩٨٨، الهوية والإختلاف في المرأة والكتابة والهامش، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق، ص١٩.

(١٤) أحمد الدغمومي، ١٩٩١، الرواية المغاربية والتغيير الإجتماعي دراسة سوسيو ثقافية، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق، ص ١٧.

(١٥) إيمان البقاعي، دس، المتقن في أدب الأطفال والصبايا لطلاب التربية ودور المعلمين، دط، بيروت، لبنان، دار راتب الجامعية، ص ٣٨.

(١٦) قالولي بن ساعد، الرواية هي إشتغال في مجاهل الذات والتاريخ والمجتمع، جريدة اليوم الأدبي، محاورة نوال لحرش، الصادرة يوم الأحد ٥. أكتوبر ٢٠٠٢، ص ١٧.

(١٧) عبد الملك مرتاض، ١٩٨٨، في نظرية الرواية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص ٩٧.

(١٨) زينب أبو يحي مزيان ، ٢٠٠٩، حكاية أدبائنا المشهورين "محمد ديب"، الجزائر، دار الفكر العربي،ج١، ص ١٢.

(١٩) خالدة سعيد، ١٩٩٦، المرأة التحرر والإبداع، المغرب، سلسلة نساء مغربيات تشرف عليها فاطمة مرنيسي، نشر دار الفنك، ص ٤٢.

(٢٠) شرين أبو النجا، ١٩٩٨، عاطفة الإختلاف قراءة في كتابات نسوية، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية للكتاب، ص ٤٣.

(٢١) رشيدة بن مسعود، ١٩٩٤، المرأة والكتابة سؤال الخصوصية وبلاغة الإختلاف، ط١، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق، ص ٧٧.

(٢٢) محمد نور الدين أفاية، ١٩٨٨، الهوية والإختلاف في المرأة والكتابة والهامش، ص ٤٣.

(٢٣) زينب أبو يحي مزيان، ٢٠٠٩، حكاية أدبائنا المشهورين "زهور ونيسي"، الجزائر، دار الفكر العربي،ج٢، ص٠٩.

(٢٤) فضيلة الفاروق، ٢٠٠٦، تاء الخجل، بيروت، لبنان، رياض الريس للكتب والنشر، ص ١١.

(٢٥) المرجع نفسه، ص ١٢.

(٢٦) نفسه، ص ١٤.

(٢٧) نفسه، ص ١٥.

(٢٨) نفسه، ص ٢٢.

(٢٩) نفسه، ص ٢٤.

(٣٠) نفسه، ص ٢٦.

(٣١) نفسه، ص ٢٨.

(٣٢) نفسه، ص ٢٩.

(٣٣) رفيقة محمد دودين، ٢٠٠٨، خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة تيمات وتقنيات، عمان، منشورات أمانة عمان، ص ٤٤٥.

(٣٤) فضيلة الفاروق، ٢٠٠٦، تاء الخجل، ص ٣٩.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

المعاجم العربية:

١. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور، ٢٠٠٣، لسان العرب، بيروت، لبنان، دار صار.
٢. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ١٩٨٦، مختار الصحاح، بيروت،مكتبة لبنان، مادة "طفل".

المصادر:

١. فضيلة الفاروق، ٢٠٠٦، تاء الخجل، بيروت، لبنان، رياض الريس للكتب والنشر.

المراجع:

١. إبراهيم مصطفى وأخرون، ٢٠٠٤، معجم الوسيط، ط٤، مصر، مكتبة الشروق الطفولية، مجمع اللغة العربية.
٢. أحمد الدغمومي، ١٩٩١، الرواية المغاربية والتغيير الإجتماعي دراسة سوسيو ثقافية، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق.
٣. أحمد حسن الخميسي، ٢٠١٤، تربية الأطفال في وسائل الإعلام، ط١، باب الزوار، الجزائر، دار النهار للنشر والتوزيع.
٤. إيمان البقاعي، دس، المتقن في أدب الأطفال والصبايا لطلاب التربية ودور المعلمين، دط، بيروت، لبنان، دار راتب الجامعية.
٥. خالدة سعيد، ١٩٩٦، المرأة التحرر والإبداع، المغرب، سلسلة نساء مغربيات تشرف عليها فاطمة مرنيسي، نشر دار الفنك.
٦. رشيدة بن مسعود، ١٩٩٤، المرأة والكتابة سؤال الخصوصية وبلاغة الإختلاف، ط١، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق.
٧. رفيقة محمد دودين، ٢٠٠٨، خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة، تيمات وتقنيات، عمان، منشورات أمانة عمان.
٨. زهرة جلاصي، ٢٠٠٠، النص المؤنث، تونس، دار سراس للنشر.
٩. زينب أبو يحي مزيان ، ٢٠٠٩، حكاية أدبائنا المشهورين "محمد ديب"، الجزائر، دار الفكر العربي،ج١.
١٠. زينب أبو يحي مزيان، ٢٠٠٩، حكاية أدبائنا المشهورين "زهور ونيسي"، الجزائر، دار الفكر العربي،ج٢.
١١. شرين أبو النجا، ١٩٩٨، عاطفة الإختلاف قراءة في كتابات نسوية، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية للكتاب.
١٢. عبد اللطيف الصديقي، ١٩٩٥، الزمان وأبعاده وبنيته، ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
١٣. عبد القادر عميش، ٢٠٠٣، قصة الطفل في الجزائر، ط١، وهران، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع.
١٤. عبد الملك مرتاض، ١٩٨٨، في نظرية الرواية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
١٥. محمد نور الدين أفاية، ١٩٨٨، الهوية والإختلاف في المرأة والكتابة والهامش، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق.

مراجع أجنبية:

١. جان بياجيه، ١٩٨٨، سيكولوجية الذكاء، ط١، بيروت، ترجمة بولند عنمانوئيل، منشورات عويدات.

المجلات:

١. مفيد نجم الدين، الأدب النسوي إشكالية المصطلح، مجلة علامات، العدد ٥٧٢، ١٥ رجب ١٤٢٦هـ/ سبتمبر ٢٠٠٥.
٢. قالولي بن ساعد، الرواية هي إشتغال في مجاهل الذات والتاريخ والمجتمع، جريدة اليوم الأدبي، محاورة نوال لحرش، الصادرة يوم الأحد ٠٥ أكتوبر ٢٠٠٢.

المذكرة والأطروحة:

١. فاطمة الزهراء بايزيد، الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠١١-٢٠١٢.